

لمحة عن حياة الإمام الصادق عليه السلام في ذكرى مولده



هو الإمام جعفر بن محمد بن علي^{رض} بن الحسين بن علي^{رض} بن أبي طالب عليهم السلام، سادس أئمّة أهل البيت الذين أذهبوا عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

ولادته وشهادته:

ولد عليه السلام في المدينة المنورة في السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة 83 للهجرة¹ ، في اليوم الذي ولد فيه جده النبي^ص الأعظم صلى الله عليه وآلـه وسلم.

وقبض في المدينة أيضاً في 25 شوال سنة 148 للهجرة²، وقيل في النصف من رجب⁴، شهيداً مسموماً⁵ ودفن في البقيع إلى جنب أبيه وجده وعمّه الإمام الحسن عليهم السلام.

أمّا كنيته: فأبو عبد الله، ويكنى أيضاً بأبي إسماعيل، وأبي موسى.

وأمّا ألقابه: فالصادق، والفالصل، والطاهر، والقائم، والكافل، والمنجي⁶. وكان من أهل العلم الذين سمعوا منه، إذا رروا عنه قالوا: أخبرنا العالم⁷. وأشهر ألقابه الصادق، سمّاه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

فعن ابن حمزة ثابت بن دينار الثمالي عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: "قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسمّوه الصادق، فإنه سيكون في ولده سمي له يدعى الإمامة بغير حقّها وباسمي كذلك" با⁸.

فلا يعبأ بما ورد من أن المنصور الدوانيقي هو الذي أضفى عليه هذا اللقب⁹.

والدته المكرمة:

والدته الماجدة الجليلة المكرّمة فاطمة، المكذّبة بأم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمّها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في حقّها: "كانت أمّي ممّن آمنت واتّقت وأحسنت واحبّ المحسنين".

وقد كانت من أتقى نساء زمانها، وروت عن علي بن الحسين عليهما السلام أحاديث، منها قوله لها: "يا أم فروة إنّي لأدعوك لمدّنبي شيعتنا في اليوم والليلة ألف مرّة ، لأنّا نحن فيما ينوبنا من الرزايا نصبر على ما نعلم من الثواب وهم يصبرون على ما لا يعلمون"¹⁰.

وعن معروف بن خربوذ- أحد أصحاب الصادق عليه السلام- في حديث له يقول: أخبرني ابن المكرّمة- يعني أبو عبد الله عليه السلام .

عن أبي الصدّاح الكناني^{١٢} قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبد الله عليه السلام يمشي فقال: "ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عز وجل": ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَسْمُنَّ عَلَى الْأَذْرِينَ اسْتِدْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ .

وعن سدير المصيرفي^{١٣} قال: سمعت أبي جعفر عليه السلام يقول: "إن" من سعادة الرجل أن يكون له الولد، يعرف فيه شبه خلقه وخلاقه وشمائله، وإنّي لأعرف من ابني هذا شبه خلقي وخلاقي وشمائلي، يعني أبي عبد الله عليه السلام" .

وعن رجل يقال له طاهر قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأقبل جعفر عليه السلام فقال أبو جعفر عليه السلام: "هذا خير البربة أو أخير" .^{١٤}

فضائله ومناقبه وبعض أحواله

وفضائله صلوات الله عليه أكثر من أن تتحصى وتذكر وفوق أن تعدد وتحصر:

فعن جوده وكرمه وإنفاقه قالوا: كان جعفر بن محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء^{١٥} .

وعن هشام بن سالم قال: كان أبو عبد الله عليه السلام إذا أعتم^{١٦} وذهب من الليل شطره أخذ جراباً فيه خبز ولحم والدرارهم فحمله على عنقه ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسّمه فيهم ولا يعرفونه فلمّا مضى أبو عبد الله عليه السلام ف kedوا ذا فعلموا أنه كان أبو عبد الله عليه السلام^{١٧} .

وروي عنه عليه السلام أنه قال: "المعروف ابتداء، وأماماً من أعطيته بعد المسألة فإنّما كافيتها بما بذل لك من وجهه، يبيت ليتلته أرقاً متملماً، يمثل بين الرجاء واليأس لا يدرى أين يتوجّه لحاجته، ثم يعزّم بالقصد لها فيأتيك وقلبه يرتفع، وفراقه ترعد، قد ترى دمه في وجهه، لا يدرى أيرجع بكآبة أم بفرح"^{١٨} .

وكان عليه السلام يتندّق بالسّكّر، فقيل له: أتتندّق بالسّكّر؟ فقال: "نعم إنّه ليس شيء أحبّ إليّ منه، فأنا أحبّ أن أتصدّق بأحبّ الأشياء إليّ" 19.

وعن أبي الربيع قال: دعا أبو عبد الله عليه السلام بطعم فأُوتى بهريسة فقال لنا: "ادنو فكلوا"، قال: فأقبل القوم يقترون، فقال عليه السلام: "كلوا فإنّما يستبين مودة الرجل لأخيه في أكله (عنه)"، قال: فأقبلنا نغم أنفسنا كما تغم الإبل 20.

وكان عليه السلام يربّي عبيده وغلماه ويعاملهم باللطف والرحمة:

فقد روى أنّه عليه السلام بعث غلاماً له في حاجة فأبطا، فخرج أبو عبد الله عليه السلام على أمره لما أبطا، فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروّحه حتّى انتبه، فلمّا انتبه قال له أبو عبد الله عليه السلام: "يا فلان واه ما ذلك لك، تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار" 21.

وإذا اعتقهم كان لا يريد منهم جزاءً ولا شكوراً سوى الطاعة ولرسوله ولأوليائه عليهم السلام، فعن إبراهيم بن أبي البلاد قال: قرأت عتق أبي عبد الله عليه السلام فإذا هو شرحه: "هذا ما اعتق جعفر بن محمد اعتق فلاناً غلامه لوجهه لا يريد به جزاءً ولا شكوراً على أن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويحجّ البيت ويصوم شهر رمضان ويتوسل إلى أولياء الله ويتبرّأ من أعداء الله، شهد فلان وفلان وفلان، ثلاثة" 22.

وكان يكرم الضيف ويسهل قراه ويحسن استخدامه، فعن ابن أبي يعفور قال:رأيت عند أبي عبد الله عليه السلام ضيفاً فقام يوماً في بعض الحاجات فنهاه عن ذلك، وقام بنفسه إلى تلك الحاجة وقال عليه السلام: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يستخدم الضيف" 23.

وكان يكدر على رزقه ويعمل بيده، فعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "إنّي لأعمل في بعض ضياعي حتّى أعرق وإن لي من يكفياني ليعلم الله عزّ وجلّ أني أطلب الرزق الحال".

وعن أبي عمرو الشيباني قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام وبيده مسحة وعلىه إزار غليظ يعمل في حائط له والعرق يتتساب عن ظهره فقلت: جعلت فداك أعطني أكفك، فقال لي: "إنّي أحبّ أن يتأنّى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة" 24.

ومن دعائه لبعض أصحابه أزّه كأن عليه السلام - يوماً - تحت المizarب ومعه جماعة إذ جاءه شيخ فسلم، ثم قال: يا ابن رسول الله: إِنَّمَا أَحِبُّكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَأَبْرَأُ مِنْ عَدُوكُمْ، إِنَّمَا يُبْلِيَتْ بِبَلَاءٍ شَدِيدٍ وَقَدْ أَتَيْتَ الْبَيْتَ مَتَعْوِذًا بِهِ مَمَّا أَجَدَ، ثُمَّ بَكَى وَأَكَبَ عَلَى أَبْنَيْ عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ يَقْبَلُ رَأْسَهُ وَرَجْلِهِ، وَجَعَلَ أَبْوَابَ عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ يَتَنَحَّى عَنْهُ، فَرَحْمَهُ وَبَكَى ثُمَّ قَالَ: "هَذَا أَخُوكُمْ وَقَدْ أَتَاكُمْ مَتَعْوِذًا بِكُمْ، فَارْفَعُوا أَيْدِيكُمْ"، فَرَفَعَ أَبْوَابَ عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ يَدِيهِ وَرَفَعَنَا أَيْدِينَا ثُمَّ قَالَ: "أَللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ هَذِهِ النَّفْسَ مِنْ طِينَةٍ أَخْلَصْتَهَا وَجَعَلْتَ مِنْهَا أُولَئِكَ، وَأُولَئِكَ أُولَائِكَ، وَإِنْ شَئْتَ أَنْ تَنْهَى عَنْهَا الْآفَاتِ فَعُلِّتْ، أَللَّهُمَّ وَقَدْ تَعْوِذُنَا بِبَيْتِكَ الْحَرَامِ الَّذِي يَأْمُنُ بِهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَقَدْ تَعْوِذُنَا بِنَا، وَأَنَا أَسْأَلُكَ يَا مَنْ احْتَجَبَ بِنُورِهِ عَنْ خَلْقِهِ أَسْأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحَسِينِ، يَا غَايَةَ كُلِّ مَحْزُونٍ وَمَلْهُوفٍ وَمَكْرُوبٍ وَمَضْطَرٍ مُبْتَلٍ، أَنْ تُؤْمِنَنَا بِمَا نَنْتَهَى إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: "مَا زَلتُ أَكْرَرُ آيَاتِ الْقُرْآنَ حَتَّى بَلَغَتِ إِلَى حَالٍ كَأَنِّي سَمِعْتُهَا مَشَافِهَةً مِمَّنْ أَنْزَلَهَا" 25 .

وَأَمَّا صَلَاتُهُ وَحُضُورُهُ بَيْنَ يَدِيِّ رَبِّهِ فَنَكْتَفِي بِمَا وَرَدَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَتْلُوُ الْقُرْآنَ فِي صَلَاتِهِ، فَغَشَّى عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ سُئِلَ مَا الَّذِي أَوْجَبَ مَا انتَهَى بِهِ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: مَا مَعْنَاهُ: "مَا زَلتُ أَكْرَرُ آيَاتِ الْقُرْآنَ حَتَّى بَلَغَتِ إِلَى حَالٍ كَأَنِّي سَمِعْتُهَا مَشَافِهَةً مِمَّنْ أَنْزَلَهَا" 26 .

*صادق العترة، سلسلة مجالس العترة، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

1- أنظر: الكليني²⁷: الكافي ج 1 ص 472، ابن مكي العاملی الشیخ شمس الدین محمد المعروف بالشهید الأول²⁸: الدروس الشرعية في فقه الإمامية ج 2 ص 12، المجلسي²⁹: بحار الأنوار ج 47 ص 2 عن الكفعمي³⁰ في الممباح، ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب ج 4 ص 279 - 280.

2- والمشهور أزّه في الخامس والعشرين من شوال، وإن لم يوجد شيء يوثق به يدلّ عليه، قال المحدث القمي³¹ رحمة الله عليه "ولم يعثّن في الكتب المعتبرة اليوم الذي توفّي فيه من شهر شوال، نعم قال صاحب جذّات الخلود- المتبدّع الماهر- أزّه توفّي في اليوم الخامس والعشرين من ذلك الشهر" انتهى، (منتهى الآمال ج 2 ص 243).

3- المفید: الإرشاد ج 2 ص 180، الطوسي^٣: تهذیب الأحكام ج 6 ص 78، ابن مکي العاملی الشیخ شمس الدین محمد المعروف بالشهید الأوّل: الدروس الشرعیة فی فقه الإمامیة ج 2 ص 12، ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب ج 4 ص 280، النیسا بوری^٤: روضة الوعاظین ج 1 ص 212.

4- ابن مکي العاملی الشیخ شمس الدین محمد المعروف بالشهید الأوّل: الدروس الشرعیة فی فقه الإمامیة ج 2 ص 12، النیسا بوری^٤: روضة الوعاظین ج 1 ص 212، ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب ج 4 ص 280، المجلسی^٥: بحار الأنوار ج 47 ص 2 عن الكفعی^٦ في المصباح.

5- الطبری^٧ ابن رستم: دلائل الإمامة ص 246، ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب ج 4 ص 280، عن أبي جعفر القمی^٨، المجلسی^٩: بحار الأنوار 47 ص 2 عن الكفعی^٦ في المصباح، وص 8 عن الإقبال لابن طاوس في أدعية شهر رمضان: وضاعف العذاب على من شرك في دمه وهو المنصور، ونسبه إلى "قبيل" المسعودی^{١٠} في مروج الذهب ج 3 ص 313، وكذا ابن الصدّاغ المالکی^{١١} في الفصول المهمّة ج 2 ص 928، إلى غير ذلك.

6- ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب ج 4 ص 281.

7- اليعقوبی^{١٢}: تاريخ اليعقوبی^{١٣} ج 2 ص 381. وانظر: ابن مکي العاملی الشیخ شمس الدین محمد المعروف بالشهید الأوّل: الدروس الشرعیة فی فقه الإمامیة ج 2 ص 12.

8- الصدق: علل الشرائع ج 1 ص 274. وفي بعض الروایات ما يشير إلى توبته، كما في التوقيع الخارج على السفير محمد بن عثمان العمري^{١٤} في جواب أسئلة سألها إسحاق بن يعقوب: "أمّا سبيل عمّي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام" (الصدق: کمال الدین وتمام النعمة ص 484). واعتال العالم.

9- القرشی^{١٥} الشیخ باقر: حیاة الإمام الصادق عليه السلام ج 1 ص 22 - 23.

10- الكلینی^{١٦}: الكافی ج 1 ص 472.

11- الطوسي^{١٧}: اختیار معرفة الرجال المعروف برجال الكشّی ج 2 ص 472.

12- الكلینی^{١٨}: الكافی ج 1 ص 306.

13- الكليني^٣: الكافي ج 17 ص 306.

14- المصدر السابق ص 307.

15- الذهبي^٣: تاريخ الإسلام ج 9 ص 89.

16- أعتمـ إذا دخل في عتمة الليل وهي ظلمته.

17- الكليني^٣: الكافي ج 4 ص 8.

18- الكليني^٣: الكافي ج 4 ص 23.

19- المصدر السابق ج 4 ص 61.

20- المصدر السابق ج 6 ص 279.

21- المصدر السابق ج 2 ص 112.

22- الكليني^٣: الكافي ج 6 ص 181.

23- المصدر السابق ج 6 ص 283.

24- المصدر السابق ج 5 ص 76 - 77.

25- المجلسي^٣: بحار الأنوار ج 47 ص 122، عن الدعوات للراوندي^٣.

26- المصدر السابق ج 47 ص 58 عن فلاح السائل.